المدخـل :

الحمد لله رب العـالمين، والصلاة والسـلام على إمـام المجاهديـن، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فهـذه وقفات سـريعة مع الجهـاد والمجاهـدين في أفغانستـان، وليس مع المجاهدين الأفغان؛ لأن الجهاد في أفغـانستان لم يكن جهادًا محصورًا على الأفغان وحدهم، وهكذا ينبغي أن يكون الجهاد. وقد اختلفت مناسبات هذه الوقفـات وأوقاتها، وعكست حـالة الجهاد والمجـاهدين في أفغانستـان طيلة صمـودهم مع القـوى الشيوعيـة في أربع عشـرة سنـة، بدأت في ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م إلى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م. وكانـت هذه السنـون الأربع عشرة حـافلة بأحـداث ثرّة حلّت بـالمجـاهديـن داخل الأرض الأفغانيـة (سـاحة الجهـاد) وخارجها (الجبهات المساندة) القريبـة من ساحة الجهاد والبعيدة عنها، ومع الشيوعيين، ومع غير الشيوعيين. وقد سجلت هـذه المرحلة ملحمة جهادية، يعكف العلماء والمفكـرون الآن على توثيقهـا بموضوعيـة وتجرُّد، على مـا هو مأمول، ومن ثمَّ إخراجها في موسوعة علمية متخصصّة بهذه المرحلة من حياة الأمـة، ليعتبر بهـا الآخرون من أبنـائها ويستفيـدوا مما حلَّ بـالمجاهـدين في أفغانستان إيجابًا أو سلبًا.

ومع انتصار المجـاهدين في أفغانستـان على عدوهم من الخـارج في شهر رمضان المبارك من عام ١٤١٢هـ الموافق لشهر أبريل من عام ١٩٩٢م دخلوا مرحلـة جديـدة من الجهاد تختلـف ـ تمامًـا ـ عـن المرحلة التـي خاضـوها، واجتازوها منتصـرين بفضل الله تعالى ومنّته. وبقوا في المرحلة الجـديدة مدة من الزمن لم يتمكنوا فيهـا من الخروج من «عنق الزجاجـة» مما جعلهم مجالاً لشماتة الأعداء **وبعض الأصدقـاء كذلك**، ومـما جعل القاصي والـداني يقلّل

من شأنهم، ويشكك في نواياهم، ويرميهم بالتهم، بل وينسف الجهود التي قاموا بها طيلة العشرين سنة الماضية، منذ أن بدأوا بالتوجه العملي نحو التخلص من الجسم الفكري والعقدي الثقيل الذي حلَّ بأرضهم. وجعلت هذه المرحلة الجديدة أعداء فكرة الجهاد يشمتون بأولئك المتحمسِّين لها، المدافعين عنها المنافحين. **بل جعلت هذه المرحلة الجديدة بعض المتحمسين لفكرة الجهاد في أفغانستان ممن كانت لهم أياد بيضاء في المرحلة السابقة يقلبون «ظهر المجنِّ»، ويشعرون بالإحباط نظرًا لما حلّ بالمجاهدين الأفغان في المرحلة التالية، مرحلة ما بعد النصر على الأعداء من الخارج.**

ولا أدَّعي هنا أني أتميّز عن غيري في متابعة هذه الرحلة الطويلة، ولكني وفّقت للعمل للمجاهدين فترة محدودة من الزمان كانت عندي مليئة بالأحداث المتتالية التي جعلتها بالنسبة لي وكأنها زمن طويل، وهي لم تتعدَّ سنة ونصف السنة فقط. وأستطيع في هذا المدخل للوقفات التالية أن أخرج بالنتائج التالية التي أعدُّها من الأسباب التي أسهمت في وصول المجاهدين الأفغان إلى ما وصلوا إليه في المرحلة التي تلت النصر. وأظن أن أبرز هذه الأسباب التالي:

١ ـ أننا ـ نحن المسلمين في غالبنا ـ قد غلَّبنا في نظرتنا للجهاد العاطفة على العقل. وكنا بحاجة ملحة إلى قيام الجهاد، فوجدناه قد قام في أفغانستان في الوقت الذي كان من المتوقع فيه أن يقوم الجهاد في فلسطين المحتلة. فلما قام في أفغانستان بالصورة الواضحة، أوضح من قيامه في غيرها من بلاد المسلمين كان هذا الاندفاع غير المكبوح لفكرة الجهاد.

٢ ـ أننا ـ نحن المسلمين في غالبنا ـ نظرنا إلى المجاهدين الأفغان، جميعهم، على أنهم صفوة الصفوة في هذا الزمان، بل إن منا من لم يطبّق

عليهم المعايير البشرية التي طبقت على من قبلهم، بما فيهم صحابة المصطفى محمد ﷺ أفضل جيل في هذه الأمة وغيرها، فرفعنا المجاهدين في أذهاننا، غالبنا، رفعة أعلى من رفعتهم التي رفعهم الله إيّاها، فكان لهذا أثره عندما تبيّن لنا أننا «نتعامل» مع بشر يختلفون، ويحصل بينهم ما يحصل بين البشر.

٣ ـ كانت هناك قضايا ملحة تعدُّ من متطلبات الجهاد أوثر لها أن تؤجَّل حتى يصل المجاهدون إلى كابول، أي حتى يتم النصر ثم يُلتفت إليها. ومن أبرز هذه القضايا الملحّة ـ فيما يبدو لي ـ تزامن الجهاد مع الدعوة، إذ إن الدعوة قد أريد لها ـ بحسن نية ـ أن تنتظر حتى ينتهي المجاهدون من القتال. ولا يعني هذا انعدام الدعوة، بل المقصود عدم التزامن في المدى فقط. وينتظر من المجاهدين الآن وقد تمَّ النصر بحمد الله أن يجدّوا في مجال الدعوة لتوجيه دفّة الأمة إلى الخير بإذن الله تعالى.

٤ ـ سمحت ساحة المجاهدين بالفرقة والتحزُّب وتغليب الأهواء أحيانًا. بل ربما التشجيع غير المباشر وغير المقصود على ذلك، فكان هناك تشجيع على خروج التابعين لتنظيمات قائمة، وتشكيل تنظيمات جديدة. والذي دعا لذلك عدة أسباب، لعل من أهمها محاولة الخروج بقيادة جهادية أفضل بعد أن ظهرت بعض التجاوزات التي لا تليق بمجاهد.

٥ ـ (مارس «الدرهم والدينار» أثرًا غير طيّب في حالات وفي بعض الوجوه عندما لم يكن هناك تنسيق بين الجمعيات والهيئات التي دعمت الجهاد. وقد ذكر لي أحد القادة الميدانيين على الأرض الأفغانية «كشمير خان» أن الدرهم والدينار يعدَّان سببًا مباشرًا من أسباب التمزُّق بين «الفصائل» الأفغانية).

٦ ـ أظن أن معظم المجاهدين الأفغان قد وثقوا في البداية بكل المجاهدين العرب، على اعتبار أنهم قادمون من الأراضي المقدَّسة، وأنهم يملكون العلم

والرأي والمشورة، ولم يكن كل المجاهدين العرب على قدر من العلم الشرعي والفقه فيه، ومن ثم لم يكونوا جميعًا على قدر من تقديم الرأي والمشورة.

٧ ــ وأظن أن المجاهدين الأفغان لم يكونوا جميعًا على قدر من العلم الشرعي والفقه فيه، بل ربما كان جزء منهم يفتقر إلى الشعور بالجهاد المعروف لدينا شرعًا، فكان وجودهم في الساحة رغبة منهم في عدم التمكين للشيوعيين. وهم وإن كانوا لم يعدموا «الروح» الإسلامية، إلا أنها كانت تلك الروح «التقليدية» التي لم تُخضع للتوجيه. وهذا يبرِّر النقطة الثالثة أنفًا.

٨ ــ وقد دخل بين المجاهدين من الأفغان وغير الأفغان جماعة من المنافقين والمرجفين في الأرض، وكانت لهم أيادٍ سوداء في مسيرة الجهاد. فقد اختلطوافي الميدان فأثاروا الحزازات والشحناء والعرقية والقبلية والإقليمية و لشعوبية بين المجاهدين، واستمروا في هذا حتى بعد تحقق النصر. وأظنهم لا يزالون مندسين في صفوف المجاهدين.

٩ ــ ومع أننا منهيون عن الدخول في النيات، وكثيرًا مانهاني أحبتي عن الخوض في هذا، إذ إنه مما لا يعلمه إلا الله تعالى، إلا أن بعض الممارسات قد تكشف عن مدى الإخلاص في خدمة الأهداف. وأزعم أن الإخلاص في العمل كان مفقودًا لدى «بعض» المجاهدين، وليس جميعهم. فقد أشغل بعضهم بما لا ينبغي لمجاهد أن يشغل فيه.

١٠ ـ وربما يكون من الأسباب أيضا إغفال الشوائب التي صاحبت الجهاد في الوقت الذي أريد فيه أن يكون الجهاد خالصًا منها جميعها، وهكذا نُظر إلى الجهاد في أفغانستان. **ويدخل في الشوائب من هذا المنظور تدخُّل القوى الأجنبية التي لم تتدخّل من أجل الجهاد أو المجاهدين، إذ إنها تعدُّ معادية للإسلام، وهي كذلك. وكان تدخّلها يحقق لها تقويض الشيوعية، عدوها**

المباشر، حينئذ. وكانت هذه النقطة هي مدار النقاشات والحوارات التي كان لها أثرها في النظرة إلى الجهاد والمجاهدين في أفغانستان.

ومع هذا كله، ومع عوامل أخرى غفلت عنها أو غابت عني، فإن المجاهدين في أفغانستان قد سجلوا نصرًا لم تسجله أمة معاصرة:

أ ـ فقد انتصروا بصمودهم أمام الشيوعيين طيلة هذه السنين الأربع عشرة.

ب ـ وقد انتصروا عندما اضطرُّوا الروس على الانسحاب سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م والتخلي عن بيادقهم في كابول.

ج ـ وقد انتصروا عندما استطاعوا تجاوز العقبات التي وقفت في طريقهم وسعت إلى تمزيقهم أكثر مما هم عليه من عدم قدرة على الاتحاد أمام العدو.

د ـ وقد انتصروا عندما دخلوا كابول مخرجين البيادق تحت حماية «الأمم المتحدة» فدخلوها مرفوعي الرأس.

هـ ـ وهم الآن ينتصرون على أنفسهم وعلى الشيطان، ويدخلون المرحلة الجديدة المتمثلة في قطف الثمار، وإقامة مجتمع مسلم يحكم بالإسلام، ويقيم شرع الله على أرض الله.

ولا أرى من الحكمة التخلي عن الأفغان رسميًا وشعبيًا وهم يمرون بمرحلة صعبة جدًا رغم ما قد بدا عليهم من الشقاق والنزاع حول أمور ظاهرها أنها دنيوية عاجلة. ولا يبدو لي أنه من مصلحة المسلمين ترك الأفغان لأنفسهم، فتهتز فكرة الجهاد ومفهومه في النفوس، وتكون لها آثارها النفسية والعقدية غير الحسنة على مضي الجهاد في سبيل الله في أماكن أخرى من بلاد المسلمين التي تعصف بها النكبات.

ومع الدعوة إلى عدم التخلي عن الأفغان تتـزامن الدعوة إلى النظرة الواقعية للأوضاع القائمة في المجتمع المسلم اليوم، مع الابتعاد عن المثاليات التي لا تقبل التحقيق على أرض الواقع في وقت قصيـر. والاستعجال سمة طغت على بعض الأنشطة اليوم. ولا بـد من الاهتمام بالقاعـدة والسعي إلى تنشئتها صلبة قوية قابلة لتحمُّل ما تمرُّ به الأمة من تحدِّيات وأزمات.

وفّق الله الأفغان في مـرحلتهم القادمة، وأعـانهم على أنفسهم والشياطين. وآمل أن تسـاهم هـذه الـوقفـات في تبيان مـرحلـة من المـراحل التي مـرَّ بهـا المجاهـدون والمسلمون في حيـاتهم الطويلـة الممتدة إلى أن يقضـي الله أمرًا كـان مفعولا. علـى أني لا أزعم أن هذه الـوقفـات تعين على التقـويم العلمي الموضوعي المجرَّد، فإنما هي وقفات عـاجلة نشرتها صحف سعودية محلية، وفي مقدمتها جريدة الجزيـرة التي يعود لها الفضل الأول، بعد الله تعالى، في تسطيـر هذه الـوقفات، كمـا يعـود الفضل الأول، بعد الله تعـالى، إلى رئيس تحريرها الأستاذ محمد بن ناصر بن عبّاس في استقامة هذا القلم، إن يكن قد استقـام، فقد فتح لي الأستـاذ محمـد بن ناصـر بن عبّـاس، رئيس التحريـر، صفحـات الجـريـدة. وكان لـه أثـره على مـا استطعت الآن أن أخـرج بـه من مجمـوعـة من الوقفـات هي في الأصل مقـالات نشـرت في جـريدة الجـزيـرة وغيرهـا، ومنها هذه الـوقفة مع الجهاد والمجاهـدين في أفغانستان. فـالشكر الجـزيل قليل في حقـه، وفي حق زمـلائه في الجـريـدة. وكـان الله في عـون الجميع.

الرياض في ١/ ١/ ١٤١٥هـ

علي بن إبراهيم النملة